تقديم

أخى المسلم /

فى القرآن الكريم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وإذا كان القرآن الكريم قد قرر أن أهل الذكر فى كل زمان ومكان هم مصابيح الهدى الذين ينبغى علينا ـ نحن المؤمنين بصفة خاصة ـ أن نستنير بآرائهم ، ونستفيد بعلومهم النافعة ، وأفكارهم الواضحة التى دائمًا وأبدًا نحن فى أشد الحاجة إليها .. فى هذه الحياة الأولى التى فيها ما فيها من المتاهات والمحن ، والتى لا نجاة لنا منها إلا بالنصيحة الواضحة والبرهان المبين ..

إذا كان هذا هو ما تشير إليه هذه الآية الكريمة .. فما بالك بسيد أهل الذكر أجمعين صلوات الله وسلامه عليه ؟

إن الوقوف على أجوبته صلوات الله وسلامه عليه سيغنينا عن كثير من الأجوبة التى قد نحتاج إليها من جانب أهل الذكر الآخرين ..

فإجاباته صلوات الله وسلامه عليه تغنى عن غيرها ، وغيرها لا يغنى عنها ..

وكيف لا .. وهو المشار إليه فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هو إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾(٢).

ولقد أشار القرآن الكريم إلى الأسئلة التى كان الرسول ﷺ قد أُمر بالإجابة عنها ، وهى أربعة عشر سؤالاً .. رأيتُ أن أسوقها إليك مع ذكر أسبابها حتى تنتفع بها .

فإليك :

● قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٣).

---

(١) النحل :٤٣ .

(٢) سورة النجم : ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) الآية ١٨٦ .

وقد روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : قالت اليهود : كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك ؟فنزلت هذه الآية .

وقال الحسن : سببها أن قومًا قالوا للنبى ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت هذه الآية .

● ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ والْيَتَامى والْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ ومَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله به عَلِيمٌ ﴾(٤).

وقد نزلت هذه الآية فى عمرو بن الجموح ، وكان شيخًا كبيرًا فقال : يا رسول الله إن مالى كثير فبماذا أتصدق ، وعلى من أُنفق ؟ فنزلت : ﴿ يسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُون .. ﴾ .

● وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ للنَّاس والحَجِّ ... ﴾(٥).

وهذا مما سأل عنه اليهود واعترضوا به على النبى ﷺ ، فقال معاذ : يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة ، فما بال الهلال يبدأ دقيقًا ثم يزيد حتى يستوى ويستدير ، ثم ينتقص حتى يعود كما كان ؟ فأنزل الله هذه الآية .. وقيل : إن سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبى ﷺ عن الهلال وما سبب مُحاقه(٦) وكماله ومخالفته لحال الشمس .

كما قاله ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم .

● وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتَالٍ فيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وصدٌّ عنْ سَبِيلِ الله .. ﴾(٧).

وقد روى أبو اليسارين عن جندب بن عبد الله أن النبى ﷺ بعث رهطًا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الحارث أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب لينطلق بكى صبابة إلى

---

(٤) الآية : ٢١٥ . من سورة البقرة .

(٥) الآية ١٨٩ .

(٦) المحاق أن يستتر القمر ليلتين فلا يرى غدوة ولا عشية .. وقال فى مختار الصحاح : المحاق من الشهر بالضم ثلاث ليال من آخره .

(٧) الآية : ٢١٧ .

رسول الله ﷺ ، فبعث عبد الله بن جحش وكتب له كتابًا وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال : ولاتُكْرِهَنَّ أصحابك على المسير ، فلما بلغ المكان قرأ الكتاب فاسترجع وقال : سمعًا وطاعة لله ولرسوله ، قال : فرجع رجلان ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب ، فقال المشركون : قتلتم فى الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ .. ﴾ الآية .

ورُوِى أن سبب نزولها أن رجلين من بنى كلاب لقيا عمروَ بن أمية الضمرى وهو لا يعلم أنهما كانا عند النبى ﷺ ، وذلك فى أول يوم من رجب فقتلهما ، فقالت قريش: قتلهما فى الشهر الحرام ، فنزلت الآية .

والقول بأن نزولها فى قصة عبد الله بن جحش أكثر وأشهر ، والله أعلم .

● وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا .. ﴾(٨).

قال بعض المفسرين : إن الله تعالى لم يدع شيئًا من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة ، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة ، فكذلك تحريم الخمر .

وهذه الآية أول ما نزل فى أمر الخمر ، ثم بعده : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾(٩).

ثم قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(١٠).

ثم قوله : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾(١١).

وذلك لأن الخمر أُمُّ الخبائث ، فقد روى النسائى عن عثمان رضى الله عنه قال : « اجتنبوا الخمر فإنها أُمُّ الخبائث ، إنه كان رجل ممن كان قبلكم تَعَبَّدَ فَعلِقَتْه امرأة

---

(٨) من الآية : ٢١٩ .
(٩) سورة النساء : من الآية ٤٣ .
(١٠) سورة المائدة : الآية ٩١ .
(١١) سورة المائدة : الآية ٩٠ .

غَوِيَّة ، فأرسلت إليه جاريتَها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إني وأنه ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك لتقع عليّ ، أو تشرب من هذه الخمر كأسًا ، أو تقتل هذا الغلام . قال : فاسقيني من هذه الخمر كأسًا ، فسقته كأسًا ، قال : زيدوني ، فلم يَرِمْ - أى فلم يبرح - حتى وقع عليها وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر ، فإنها وأنه لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبهُ » .

● وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ** ﴾(١٢).

قال العلماء : لما كان السؤال فى الآية المتقدمة فى قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلونَكَ ماذا يُنفقون** ﴾ سؤالاً عن النفقة إلى من تُصرف ، كما بيناه ودل عليه الجواب ، والجواب خرج على وَفق السؤال كأن السؤال الثانى فى هذه الآية على قدر الإنفاق ، وهو فى شأن عمرو بن الجموح - كما تقدم - فإنه لما نزل : ﴿ **قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِّنْ خَيرٍ فللْوَالِدَيْنِ** ﴾ ، قال : كم أنفق ؟ فنزل ﴿ **قُلِ العفْو** ﴾ والعفو : ما سهُل وتيسَّر وفَضَل ، ولم يشق على القلب إخراجه .. فالمعنى : أنفقوا ما فَضَلَ عن حوائجكم ، ولم تؤذوا فيه أنفسكم ، فتكونوا عالة .. ﴿ **كذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ** ﴾ أى : فى أمر النفقة ﴿ **لَعلَّكم تتفكَّرونَ * فى الدُّنيا والآخرة** ﴾ أى : فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم فى معاش الدنيا وتنفقون الباقى فيما ينفعكم فى العُقْبى .

وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، أى : كذلك يبين الله لكم الآيات فى أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فى الدنيا وزوالها وفنائها فتزهدون فيها ، وفى إقبال الآخرة وبقائها فترغبون فيها .

وقال تعالى فى سورة البقرة(١٣): ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لهُمْ خَيرٌ وإِنْ تُخَالِطُوهُم فَإِخْوَانُكُم واللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُم** △ **إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ .

روى أبو داود والنسائى عن ابن عباس قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿ **ولاَ تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إلا بالتى هِىَ أَحْسَن** ﴾(١٤) و ﴿ **إِنَّ الذِينَ يَأْكُلُونَ أمْوالَ الْيَتَامَى**

---

(١٢) سورة البقرة : الآيتان ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(١٣) البقرة الآية : ٢٢٠ .

(△) أعنتكم : أى يشق عليكم ويضيق عليكم ، ولكنه وسَّعَ ويسَّر رحمة ورأفة بكم .

(١٤) سورة الإسراء : من الآية ٣٤ .

ظُلْمًا .. ﴾(١٥) الآية ، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامِه ، وشرابه من شرابِه ، فجعل يُفضِل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عن اليَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيرٌ ... ﴾ الآية ، فخلطوا طعامهم بطعامِه ، وشرابهم بشرابِه(١٦).

والآية متصلة بما قبل ؛ لأنه اقترن بذكر الأموال الأمرُ بحفظ أموال اليتامى . وقيل : إن السائل عبد الله بن رواحة ، وقيل : كانت العرب تتشاءَمُ بملابسة أموال اليتامى فى مؤاكلتهم ، فنزلت هذه الآية . ومعنى قوله تعالى ﴿ وإنْ تُخالطوهم فَإخوانُكم ﴾ أى : وإن خلطتم طعامكم بطعامهم ، وشرابكم بشرابهم ، وأموالكم بأموالهم ، فهم إخوانكم فى الدين ، والإخوان يعين بعضهم بعضًا ، فعليكم النظر لأموالهم نظر الأخ الشفيق لأخيه ﴿ والله يعلمُ المفسدَ من المصْلح ﴾ أى : يعلم من خالط منكم يتيمه ، وماذا يقصد بمخالطته إياه ، أفساد ماله وأكله بالباطل ؟ أم إصلاحه وتثميره ؟ ﴿ ولَوْ شاءَ الله لأعنتكُمْ ﴾ أى : لشقَّ عليكم وضَيَّقَ عليكم ولكنه وسّع ويَسّر رحمة ورأفة بكم ﴿ إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ أى : عزيز فى سلطانه ، حكيم فى تدبيره .

● وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هوَ أذًى فاعْتَزِلُوا النسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ولا تَقْرَبُوهنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فإذَا تطَهَّرْنَ فاتوهُنَّ مِن حيْثُ أمرَكُمُ الله إنَّ الله يُحبُّ التَّوابِينَ ويُحِبُّ المتطَهِرين ﴾(١٧).

فعن السُّدِّيِّ أن السائل ثابت بن الدحداح .

وقيل : أسيد بن حُضير وعبَّاد بن بشر وهو قول الأكثرين ، وسببه فيما قال قتادة وغيره : أن العرب فى المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسُنة بنى إسرائيل فى تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها فنزلت هذه الآية ، وقال مجاهد : كانوا يتجنبون النساء فى الحيض ويأتوهن فى أدبارهن مدة زمن الحيض فنزلت ، وفى صحيح مسلم عن أنس : أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يُجامعوهن فى البيوت ، فسأل أصحاب النبى ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هوَ أذى

---

(١٥) سورة النساء : من الآية ١٠ .

(١٦) لفظ أبى داوود

(١٧) سورة البقرة : الآية ٢٢٢ .

فاعْتَزِلُوا النسَاءَ فى الْمحِيضِ ... ﴾ إلى آخر الآية ، فقال النبى ﷺ : « اصنعوا كل شىء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه . فجاء أُسيد بن الحضير وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا ، أفلا نُجامعهُنَّ ؟ فتغيرَّ وجه رسول الله ﷺ حتى ظننَّا أنه وجد عليهما ـ أى غضب ـ فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فأرسل فى أثرهما فسقاهما ، فعرفا أنه لم يَجِدْ عليهما .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هوَ أذى ﴾ أى : قل لهم إنه يؤذى لنتن ريحه وقذره ونجاسته ﴿ فاعْتَزِلُوا النسَاءَ فى الْمحِيضِ ﴾ أى اجتنبوا جماعهن فى أيام حيضهن ﴿ ولا تَقْربُوهن حَتَّى يَطْهُرْن ﴾ أى : ولا تجامعوهن حتى يطهرن من حيضهن ويغتسلن ﴿ فإذَا تطَهَّرْن ﴾ أى : فإذا اغتسلن فتطهرن بالماء ﴿ فاتوهُنَّ مِن حيْثُ أمرَكُمُ اللهُ ﴾ أى : فأتوهن فى فروجهن ، من الوجه الذى أذن الله لكم بإتيانهن ، وذلك حال طُهْرِهن لا فى حيْضِهن ﴿ إنَّ اللهَ يُحبُّ التَّوابِينَ ويُحِبُّ المتطَهِرين ﴾ أى : يحب المنيبين إلى طاعته ، والمتطهرين من الجنابة والأحداث .

● وقال تعالى فى سورة المائدة : ﴿ يَسْألُونَكَ ماذا أُحِلَّ لهُم قُل أُحِلَّ لكُمُ الطيّباتُ ومَا عَلّمتُم من الجَوارِحِ مُكَلِّبين تُعلِّمُونَهُنَّ مما علَّمَكُم اللهُ فكُلُوا مِمّا أمسَكنَ عَلَيكُم واذكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيهِ واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾(١٨).

هذه الآية نزلت بسبب عدى بن حاتم وزيد بن مهلهل وهو زيد الخيل الذى سماه الرسول ﷺ زيد الخير ، قالا : يا رسول الله إنَّا قوم نصيد بالكلاب والبُزاة ، وإن الكلاب تأخذ البقر والحُمُر والظباء فمنه ما ندرك ذكاته ، ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته ، وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا ؟ فنزلت الآية .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ ماذا أُحِلَّ لهُم ﴾ أى : ماذا أباح الله لهم أكله من المطاعم والمآكل ؟ ﴿ قل أُحِل لكم الطيبات ﴾ : أى قل لهم : أُبيح لكم الحلال من المآكل والذبائح ﴿ ومَا علَّمتُم من الجَوارِحِ مُكَلِّبين ﴾ أى : وأحل لكم صيد ما علمتم من سباع البهائم والطير إذا اقتنصن الصيد بمخالبهن أو أظافرهن ﴿ تُعلِمُونَهُنَّ مّما علَّمَكُم اللهُ ﴾ أى : تعلمون الجوارح ـــ من السباع والطير ـ طلب الصيد بالوجه الذى علمكم الله إياه ﴿ فكُلُوا مِمّا أمسَكنَ عَلَيكُمْ واذكُرُوا اسْمَ اللهِ عليه ﴾ أى : فكلوا من

---

(١٨) سورة المائدة : الآية ٤ .

الصيد الحلال الذى أمسكته عليكم الجوارح ، واذكروا اسم الله عليها عند إرسالها ، وفى الحديث : « **إذا أرسلتَ كلبك المُعَلَّم وذكرتَ اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك ، وإن أدركته وقد قتل وأكل منه فلا تأكل منه شيئًا ، فإنما أمسك على نفسه** »(١٩) ﴿ **واتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ أى : بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ** ﴾ أى : يحاسب الخلائق جميعًا فى أقرب زمان ، لأنه لا يشغله شأن عن شأن ـ كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

● وقال تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾(٢٠).

روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بدر فلقوا العدوَّ ، فلما هزمهم الله أتبعهم طائفة من المسلمين يقتلونهم ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ ، واستولت طائفة على العسكر والنهب ، فلما نفى الله العدوَّ ورجع الذين طلبوهم قالوا : لنا النَّفْل ، نحن الذين طلبنا العدوَّ وبِنَا نفَاهُم الله وهزمهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : ما أنتم بأحق به منا بل هو لنا ، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ لئلا ينال العدو منه غِرَّةً ، وقال الذين اسْتلَوَوْا على العسكر والنهب : ما أنتم بأحق منا هو لنا ، نحن حويناه واستولينا عليه فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ ، فقسمه رسول الله عن فُواقٍ بينهم ، قال أبو عمر : قال أهل العلم بلسان العرب : استَلْوَوْا أطافوا وأحاطوا ، يقال : الموت مُسْتَلْوٍ على العباد ، وقوله « **فقسمه عن فُواقٍ** » يعنى عن سرعة .

ومعنى قوله تعالى ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ** ﴾ أى : يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم لمن هى ؟ ﴿ **قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ أى : قل لهم هى لله ولرسوله دونكم يجعلها حيث يشاء ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ أى : فخافوا الله واتقوه بامتثال أوامره واجتناب معاصيه ﴿ **وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ أى : وأصلحوا الحال التى بينكم ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ أى : انتهوا إلى أمر الله وأمر رسوله ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ أى : إن كنتم مصدقين بما جاءكم من عند ربكم .

---

(١٩) الحديث فى الصحيحين ، وقد جاء بطرق متعددة عن عدى بن حاتم مرفوعًا .

(٢٠) سورة الأنفال : الآية ١ .

● وقال تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٢١).

روى البخارى ومسلم والترمذى عن عبد الله قال : بينا أنا مع النبى ﷺ فى حَرْثٍ وهو متكىء على عَسِيب إذ مرّ اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما رابكُم إليه ؟ أى : ما دعاكم إلى سؤال تخشون عاقبته بأن يستقبلكم بشىء تكرهونه ـ وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشىء تكرهونه ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فأمسك النبى ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمتُ مقامى فلما نزل الوحى قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ لفظ البخارى .

وفى مسلم : فأسكت النبى ﷺ ، وفيه : وما أوتوا .

وحول قول الله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبِّى ﴾(٢٢) ورد عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : هو مَلَكٌ من الملائكة له سبعون ألف وجه .. وروى عطاء عن ابن عباس قال : الروح مَلَكٌ له أحد عشر ألف جناح وألف وجه ، يسبح الله إلى يوم القيامة ذكره النحاس . وعنه : جند من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام ، ذكره البغوى .

وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح الذى يكون به حياة الجسد ، وقال أهل النظر منهم : إنما سألوه عن كيفية الروح ومسلكه فى بدن الإنسان ، وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به ، وهذا شىء لا يعلمه إلا الله عز وجل .. والصحيح الإبهام لقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبِّى ﴾ أى : هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى ، مبهمًا له وتاركًا تفصيله ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها . وإذا كان الإنسان فى معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى ، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مُجاور له دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز .

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أى : وما أُعطيتم أيها الناس من العلم إلا قليلاً مما يعلمه الله .

---

(٢١) الآية : ٨٥ .

(٢٢) كما جاء فى تفسير القرطبى حول تفسير الآية بتصرف يسير .

وقد اختُلِفَ فيمن خوطب بـذلك ، فقالت فرقة : السائلـون فقط . وقال قوم : المراد اليهود بجملتهم . وقالت فرقة : المراد العالم كله ، وهو صحيح ، وعليه قراءة الجمهور : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ ﴾ .

● وقال تعالى فى سورة الكهف : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِنْهُ ذِكْرًا ﴾(٢٣).

قال ابن إسحاق : وكـان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يُـؤتَ غيره ، فمُدتْ له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يَطأ أرضًا إلا سلط على أهلهـا ، حتى انتهى من المشرق والمغـرب إلى مـا ليس وراءه شىء من الخلق . قـال ابن إسحاق : حدثنى من يسوق الأحاديث عـن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذى القرنين أن ذا القرنين كان من أهل مصر ، اسمه مرزبان بن مردبة اليونانى من ولد يونان بن يافث ابن نوح . قال ابن هشام : واسمه الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية فنُسِبت إليه ، وقيل غير ذلك والله أعلم .

والخلاصة : أن ذا القرنين كان مَلِكًا مؤمنًا عادلاً ، ولم يكن نَبيًّا ، وقد مكّن الله له فى الأرض فعدل وأصلح وسمى (ذو القرنين) ؛ لأنه ملك مشرق الأرض ومغربها ، وأمّا ما يقال إنه كان له قرنان فى رأسه فغير صحيح .

وقد قيل : إن السائلين عن الروح وخبر ذى القـرنين وأصحاب الكهف هم قريش ، قـالت لهم اليهـود : سلـوه عن أصحـاب الكهف وعن ذى القـرنين ، وعن الـروح ، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن واحـدة فهـو نبى ، فأخبرهم خبر أصحـاب الكهف وخبر ذى القرنين ، وقال فى الروح : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبِّى ﴾ أى : من الأمر الذى لا يعلمه إلا الله . ذكـره المهدوى وغيره من المفسرين عن ابن عبـاس (كما جـــاء فى القـرطبى) وغيره .

● وقال تعالى فى سـورة طـــه : ﴿ وَيَسْأَلُونك عَنِ الْجِبـَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾(٢٤) ، أى : عن حال الجبال يوم القيامة ﴿ فقل ﴾: جاء هذا بفاء ، وكل سؤال فى القـرآن : (قل) بغير الفاء إلا هـذا ، لأن المعنى : إن سألـوك عن الجبـال فقل ، فتضمَّن الكـلام معنى الشرط ، وقد علم الله أنهم يسألـونه عنهـا ، فأجابهم قبل السـؤال ، وتلك

---

(٢٣) الآية : ٨٣ .

(٢٤) الآية : ١٠٥ .

أسئلة تقدمت سألوا عنها النبى ﷺ فجاء الجواب عقب السؤال ، فلذلك كان بغير فاء ، وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد . فتفهَّمه . ومعنى ﴿ **ينسفها** ﴾ أى : يطيرها ، و ﴿ **نسفًا** ﴾ أى : يقلعها قلعًا من أصولها ، ثم يصيرها رملاً يسيل سيلاً ، ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا . قال : ولا يكون العهن من الصوف إلا المصبوغ ، ثم كالهباء المنثور ﴿ **فَيَذَرُهَا** ﴾ أى : يذَرُ مواضعها ﴿ **قاعًا صَفْصَفًا** ﴾ أى : فيدع الأرض ملساء مستوية ، لا نبات فيها ولا ارتفاع ، ﴿ **لاَ ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا** ﴾ أى : لا ترى فى الأرض ميلاً ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا ﴿ **يومئذ يتبعون الداعِىَ لا عِوجَ له** ﴾ أى : يومئذ يتبع الناس صوت داعى الله إلى موقف القيامة لا انحراف لهم عنه .. ﴿ **وخشعت الأصواتُ للرحمن** ﴾ أى : ذلّت وسكنت من أجل الرحمن سبحانه وتعالى ﴿ **فلا تسمع إلا همسًا** ﴾ أى : لا يُسمَعُ لهم نطق ولا كلام ولا صوت أقدام ..

قال مجاهد : لا تسمع من يحرك شفتيه ولسانه ﴿ **يومئذ لا تنفعُ الشفاعةُ إلا مَن أَذِنَ له الرحمنُ ورضِى له قَوْلاً** ﴾ أى : يوم القيامة لا تنفع الشفاعة من أحد ، إلا شفاعة مَن أذن له الرحمن أن يشفع ، ورضى قوله فتقبل شفاعته .

نسأل الله تعالى أن ينجينا من شر هذا اليوم برحمته وفضله .. وأن يجعلنا من الذين سيرتضى الشفاعة فيهم ومنهم .. اللهم آمين .

● وقال تعالى فى سورة النازعات : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيّان مُرسَاها** ﴾(٢٥).

قال ابن عباس : سأل مشركو مكة رسول الله ﷺ : متى تكون الساعة ؟ استهزاءً ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال عروة بن الزبير فى قوله تعالى ـ بعد هذا ـ ﴿ **فِيم أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا** ﴾ ، لم يزل النبى ﷺ يُسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية : ﴿ **إلى ربِّك مُنتهَاهَا** ﴾ ، ومعنى ﴿ **مُرسَاهَا** ﴾ أى : قيامها ..

والمراد أن علم الساعة ليس إليك ؛ لأنها من الغيوب التى استأثر الله بعلمها ، فلماذا تُسأل عنها ؟

وإلى هذا يشير الله تعالى فى آخر آية من سورة لقمان :

﴿ **إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نفسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾(٢٦).

---

(٢٥) الآية : ٤٢

(٢٦) الآية : ٣٤ .

فهذه هى الغيبيات الخمس التى استأثر الله بعلمها ، ففى الحديث الصحيح : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، وتلا الآية » . أخرجه البخارى .

***

والقرآن الكريم ملىء بالإجابات الكثيرة التى كثيرًا ما شُغِل الإنسان ـ المحب للعلم ـ بالتفكير فيها ، والسؤال عن أسرارها وأبعادها .. كما يُشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ .. **ما فَرَّطنا فى الكتاب من شىء ..** ﴾(٢٧) ، فقد جاء فى القرطبى ما نصه : أى فى اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث . وقيل : أى فى القرآن ، أى ما تركنا شيئًا من أمر الدين إلا وقد دللنَا عليه فى القرآن ، إما دلالةً مُبينةً مشروحَة ، وإما مُجملةً يُتلَقَّى بيانُها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو من الإجماع ، أو من القياس الذى ثبت بنص الكتاب ، قال الله تعالى : ﴿ **ونزَّلنَا عليك الكتاب تبيانًا لِكُلِّ شىء** ﴾(٢٨) ، وقال : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكرَ لِتُبيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم ..** ﴾(٢٩) ، وقال : ﴿ **ومَا آتَاكُمُ الرَّسُوُل فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عنْهُ فَانْتَهُوا ..** ﴾(٣٠) ، فأجمل فى هذه الآية وآية « النحل » ما لم ينص عليه مما لم يذكره ، فصدق خبر الله بأنه ما فرط فى الكتاب من شىء إلا ذكره ، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً ، وقال : ﴿ **الْيَومَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُم** ﴾(٣١) . أ هـ .

كما وردت كذلك تلك الإجابات الكافية والشافية على لسان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى كثير من الأحاديث الشريفة التى ينبغى على كل مؤمن صادق أن يكون على علم بها .. بل وعلى صلة مباشرة بها .. عن طريق القراءة أو الاستماع ؛ لأنه سيجد فى هذا ضالته المنشودة التى ستكون كافية له عن كثير من الفتاوى العشوائية التى كثيرًا ما أدت إلى النتائج العكسية والمتاهات والخلافات التى كانت ولا تزال سببًا فى كل ما نحن فيه من تخبط فى ظلمات الجهل ، وانقياد إلى الخرافات والأوهام .

ولهذا فقد قمت ـ بتوفيق من الله تبارك وتعالى ـ بجمع عدد كبير من تلك الأحاديث

---

(٢٧) الأنعام : من الآية ٣٨ .
(٢٨) النحل : من الآية ٨٩ .
(٢٩) النحل : من الآية ٤٤ .
(٣٠) الحشر : من الآية ٧ .
(٣١) المائدة : من الآية ٣ .

الشريفة التى أجاب فيها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن كثير من التساؤلات التى تهم كل مسلم ومسلمة .. بأسلوب جامع لكل معانى الإيضاح والتنوير .

وقد رأيتُ - بعد أن استخرت الله تعالى - أن أقدمها للأخ المسلم والأخت المسلمة فى مشارق الأرض ومغاربها - مع شرح موجز ومفيد - إن شاء الله تعالى - تحت عنوان : (من : **فتاوى الرسول ﷺ**) .

وأسأل الله أن يوفقنا جميعًا لفهم وتنفيذ ما جاء فى تلك الفتاوى المحمدية التى تغنى عن غيرها .. وغيرها لا يغنى عنها ... والله ولى التوفيق .

خادم القرآن والسُّنة

طه عبد الله العفيفى

obeikandl.com